الترجمة وفعل الوساطة اللغوية والثقافية:
من حركة الآداب إلى المثاقفة

د/ توفيق شابو
جامعة علي لونيسي البليدة 2(الجزائر)
Toufikzah@yahoo.fr

ملخص:

لا يمكن اعتبار الترجمة عملية نقل لسانية أو إيجاد معادلات لغوية وأسلوبية للغة المصدر فحسب، بقدر ماهي عملية تتجاوز إلى عقد تواصل بين نظامين ثقافيين مختلفين،حيث تسابقت الأمم في نقل ما وصل إليه الآخرون في شتى المجالات عن طريق ترجمة الكتب في جميع الميادين. وعليه فإن دراستنا تتوغل في البحث في أبعاد ظاهرة الترجمة قياسا مع التحولات المعرفية للفكر الإنساني من جهة، والتقارب البشري الحاصل على مستوى الثقافي من جهة ثانية. ومنه اعتبار الترجمة الجسر الذي يمكّن الشعوب من التقارب، عن طريق نقل الأفكار والثقافات ، ومنه تحليل نموذج رحلة الآداب بوصفها الشكل الأمثل لهذه التعابرات الثقافية، حيث ساهمت فيه الترجمة بشكل جلي في التقارب الإنساني، والتداخل الثقافي مما أتاح مجالا أوسع للتقارب والتواصل الإنساني.

الكلمات المفتاحية: الترجمة- الثقافة- اللغة- الآداب- التداخل الثقافي-التواصل.

Abstract :

This article deals Translation, not only a means of transposing linguistic signs to a different language, but also as an activity of human thought, ensures a certain connection between different modes of communication, between two languages,two means of expression, and between dissimilar cultures.

the literature, as a space of displacement, is an example that translates is not only the passage from one language to another, but as a phenomenon of human and cultural operation, a conversation and rapprochement between two cultures. Through the above we try to answer a question how translation has contributed to the movement of literature, and human communication.

Keywords*: Translation - Culture - Language - Litérature - Cultural Interférence Communication.*

توطئة :

تعتبر الترجمة الوسيط الذي يسهل التقارب بين الأمم لدورها البارز في نقل الأفكار والثقافات،و قد تسابقت الحضارات في نقل ما وصل إليه الآخرون في شتى المجالات عن طريق ترجمة الكتب في جميع الميادين، فمن جهة يعود الفضل للترجمة في تواصل اللغة على أساس أنها تستوجب صيغا جديدة، وكلمات مبتكرة، فهي بذلك تساهم في إثراء اللغات، والحفاظ عليها،ومن جهة أخرى تسهم في نقل المعارف والآداب داخل سياقات ثقافية مختلفة بيئيا وزمنيا.ومن هذا المنطلق اهتم الإنسان بالدور الترجمي منذ الفترات الأولى لتاريخه، فعدّ فعل الترجمة فنا رفيعا، وعملا نبيلا داخل أية حضارة تزهو بآدابها وأعمالها الفكرية. لذا فما من حضارة إلا و نجدها تتواشج مع فعل الترجمة،حيث يعكس الفعل الترجمي درجة رقيّها، و قدرتها على التواصل والانفتاح. لذا يمكننا القول أنه ما من تواصل ثقافي؛ وما من تداخل أو تبادل إلا ويقتضي الترجمة، خصوصاً في مجال ما تعتبره كلُّ ثقافة مخزونها الفكري، ومثالا لقدرتها على الاستيعاب والإنتاج،وانفتاحها على الثقافات الأخرى تأثيرا وتأثرا، حيث يسهّل هذا الفعل من عمليات الاندماج، والتداخلات الثقافية بين الأمم والشعوب (عبر مراحل تاريخية طويلة). فالتداخل الثقافي بهذا المعنى، يشير إلى توطين واستيعاب الثقافة المستهدفة أجزاء من الذخيرة الثقافية للمجتمع المُصدّر،و تصبح النصوص على تماس مباشر مع الثقافات الأخرى، كما تصبح وسيلة لإدخال أفكار مختلفة إلى جماهير جديدة. والحال، أنَّ مثل هذه المواجهات اللغوية والثقافية، يدفعنا لأن نفهم ذلك السطح البيني الثقافي الذي يجتاح الترجمة، لفهم كيفية عمل الثقافات الأخرى، وكذا فهم الديناميكيات التاريخية لأشكال التواصل الإنساني عبر الروافد الفكرية والأدبية والثقافية. مقرين بأن النصوص المترجمة من كافة الأنواع، في تشكيل الثقافات صورتها على مرّ التاريخ.ويكاد الميراث الثقافي للشعوب حتى القرن الحالي أن يكون قد تشكّل بتأثير حركات التبادل الثقافي فيما بينها.

1) مفهوم الترجمة وتاريخها:

- **في مفهوم الترجمة:** يستهل **أمبرتو إيكو** كتابه الموسوم ب: "***أن نقول الشيء نفسه تقريبا***" في معرض تحديده لمفهوم الترجمة بسؤال مهم مفاده: ما معنى أن نترجم؟ وهو مدخل لتحديده النظري لمفهوم الترجمة بقوله إن:"الترجمة هي قول الشيء نفسه بلغة

أخرى[1] .وعليه فان هذا التعريف يحيل إلى اللجوء إلى عمليات الشرح والتفسير، وإعادة الصياغة عن طريق الاستبدالات بواسطة المرادفات.وهي عمليات تعد من أساسيات نقل المحتوى عن طريق السنن اللسانية واللغوية للغة المصدر، مراعية جوهر وروح النص الأصلي،لذلك لا يقف **أمبرتو إيكو** عند هذه المسألة، بل يتجاوز مفهومه للترجمة إلى مسألة مهمة في الفعل الترجمي،وذلك بربطها بالفعل التأويلي فيقول: "الترجمة هي أحد أشكال التأويل ،وغايتها يجب أن تكون دائما مع انطلاقاتها من مشاعر القارئ وثقافته ،لا أقول نقل فعل المؤلف، بل قصد النص. أي ما يقوله النص أو ما يوحي به، باعتبار اللغة التي كتب فيها والسياق الثقافي الذي نشأ فيه"[2] فمسألة الفعل الترجمي حسب **إيكو** تصبح عملية نصية بالمقام الأول، وثقافية في المقام الثاني، لذا فهي فعل يرتكز أساسا على مرجعية ثقافية تمكّن (الناقل) من نقل المعنى داخل سياقات إنتاجه وشروطها الثقافية.

وتشترك جلّ التعريفات في مفهوم فعل النقل في عملية الترجمة، فهي شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر من لغة أخرى إلى لغة القارئ أو المستمع[3] وهذه العملية لا تنفي وجود ذواتين يتمثل أولهما في ذات الأنا (المصدر)، والثاني في ذات الآخر أو(الهدف). لذا فالترجمة هي التعبير بلغة أخرى(لغة الهدف) كما عُبر عنه بلغة أخرى (لغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية[4] .ويركز هذا المفهوم على قضية تحريك اللغات من جهة، ومن جهة أخرى يرتكز على الحفاظ على سمات النص الأصلية، وبعبارة أخرى فالترجمة هي استبدال تمثيل نص مكافئ في لغة ما بتمثيل نص في لغة ثانية[5] فمسألة التكافؤ التام يمكن أن تتفاوت لذالك فإنها مسألة مثالية، وعليه فإن دور المترجم هو في اجتهاده في إيجاد تكافؤات شكلية تحفظ للنص قيمته التواصلية.

ونجد تعريف **محمد عناني** للترجمة في كتابه فن الترجمة بقوله:" هي فن تطبيقي لا تأتي إلا بالمران والممارسة وربما كان لها جوانب جمالية بل لها جوانب إبداعية"[6] .فعملية الكتابة في اللغة الأصلية هي عملية استكشاف للأفكار، حيث تعكس حرية الكاتب في هذه العملية ،أما الترجمة فهي عملية مقيدة بنص قصد نقل هذا الفكر من لغة لها أعرافها وتقاليدها وثقافتها، إلى لغة اختلفت في كل ذلك، ومعنى هذا أن المترجم يتسلح بالقدرة على استخدام الألفاظ والتراكيب لتدل على ما يريده من معان وليس هذا بالأمر الهين[7] أما **عبد السلام بنعبد العالي**، فيعرف الترجمة على أنها:"هي التي

تنفخ الحياة في النصوص وتنقلها من ثقافة إلى أخرى، والنص لا يحيا إلا لأنه قابل للترجمة، وغير قابل للترجمة في الوقت ذاته"[8]. وهذا التعريف يؤكد السمة التواصلية في عمليات الترجمة رغم مايشوبها من محاذير تنبع أساسا من النص ذاته واستعصائه النقلي.

ونجد **بول ريكور** في كتابه عن الترجمة يطرح مسألة الترجمة من وجهتين:أولهما لسانية، والأخرى ثقافية[9] فمن الناحية اللسانية تطرح الترجمة حسب رأيه مشكلة في الاتحاد الذي لا انفصام له بين الدال والمدلول،وعليه تتعذر المطابقة الحرفية بين لغة وأخرى، فتأخذ الترجمة الطريقة الحرفية حيث تتخذ الكلمة معادلا ثابتا في لغة الوصول أو اللغة الهدف،فتمر عبر عمليات الإعادة أو التحويل،أو دحض الاستعمالات السابقة من قبل كتاب ينتمون إلى نفس التقاليد الفكرية.أما من الناحية الثقافية، فأحيانا لا تستعمل التراكيب وأساليب الجمل نفس الموروثات الثقافية مما ينتج عنه مقاومة النصوص الأجنبية لفعل الترجمة[10] ومنه يقر **بول ريكور** بمفهوم بديل وهو النص الثالث الذي يعتمد قول نفس الشيء في فضاء مغاير.وبهذا يصبح مفهوم الترجمة عنده هو قول الشيء نفسه لكن بطريقتين مختلفتين [11] .تبرز لنا هذه التجاذبات المفهومية الإطار العملي لفعل الترجمة، فمن جهة تكاد تجتمع الآراء على الفعل اللساني واللغوي في جوهر الترجمة. ولكن بشيء من الاتساع لا ينحصر هذا المفهوم داخل القوقعة اللسانية، على أساس أن فعل الترجمة هو فعل مطابقة لغوية. إنما يتسع إلى معنى أكثر عمقا حين يرقى هذا الفعل في الاتحاد مع روح النص وهو المعنى الذي يشترط تلك المعرفة بالخلفية الثقافية للغة المصدر وإعادة تكييفها حسب ثقافة الهدف مراعية خصوصياتها وجوهرها، لذا فإن كان الاختلاف اللغوي هو ما يسم المجتمعات والشعوب، فانه لامناص من الاعتراف أن هناك مكونات إنسانية تختفي وراء كل عمل وهي ما تشكل روحه، وهذه المنطقة هي التي يمكن أن تلتقي فيها روحا النصين المختلفين ولن يكون هذا الالتقاء إلا بفعل ترجمة تراعي هذا السياق الجوهري في النص.

***تاريخ الترجمة:** إن تاريخ الترجمة هو بمعنى ما، تاريخ الإنسانية ذاتها، أو هو على الأصح تاريخ مقترن باللحظة التي أدركت فيها الإنسانية وعيها بذاتها،فالوعي بالذات هو وعي بالآخر،وعليه فلا يمكن اعتبار الترجمة نشاطا حديث العهد بل هو تاريخ موغل في القدم قدم الإنسانية ذاتها.فالمظاهر الأولى لفعل الترجمة ترجعه كتب التاريخ إلى فترات

الإنسانية الأولى حين باشرت بتشييد برج بابل فعوقبوا بتشتيت وتعدد لغاتهم وعدم قدرتهم على التفاهم ،لذلك كان لزاما عليهم ابتكار الترجمة والترجمة الشفوية قصد التواصل[12] .وقد عرفت الترجمات الأولى في القرن الثالث ميلادي بنقل ملحمة جلجامش من السومرية إلى الحيثية ترجمةً، ثم ما أعقبه من ترجمات في بلاد الرافدين لنقوش شريعة حمورابي التي ضمت قوانين الدولة الأشورية من الأكادية إلى الهورية، مما جعل هذا القانون بالغ التأثير على شعوب الشرق القديم.

وغير بعيد عن بلاد الرافدين فقد أنشئت مدرسة للترجمة في مدينة الإسكندرية في مصر القديمة، حيث تواصل إشعاعها وريادتها إلى مطلع القرن الثاني بعد الميلاد. حتى تم اكتشاف حجر الرشيد في 1799، وفك رموزه في 1822. حيث كان هناك ثلاثة نصوص محفورة على الحجر بثلاث كتابات مختلفة: الأولى بالهيروغليفية، الثانية بالديموطيقية، وهي كتابة يدوية مختصرة للكتابة الهيروغليفية، والثالثة باليونانية. تم ترجمة النص اليوناني عام 1803، وعن طريقه استطاع الفرنسي **جان فرانسوا شامبليون** والإنجليزي **توماس يانج** فك رموز الكتابة الهيروغليفية والديموطيقية. في عام 1822 أعلن شامبليون في باريس فك رموز النصوص المحفورة على حجر الرشيد، ليكون بهذا إعلاناً لمولد علم المصريات الذي أعاد اكتشاف حضارة عريقة ومن ثم ترجمة آدابها وعلومها وأساطيرها[13]. أما في اليونان القديمة، وقياسا على اعتبار اليونانيين أنفسهم شعوبا متحضرة فلم تكن الحاجة بالنسبة إليهم إلى الترجمات، لذا قلّت عندهم عمليات الترجمة، بينما عند الرومان – خاصة بعد تغلبهم على اليونانيين- فقد فرضت اللغة اللاتينية باعتبارها لغة عالمية وبرز **شيشرون** بترجماته للآثار اليونانية كما أعمل النظر في المبادئ النظرية للترجمة[14].

أما الترجمة عند العرب فقد عكفت الترجمات العربية على النصوص الهامة في المجالات العلمية والفلسفية، بحيث نقلوا التراث اليوناني إلى العالم، واستفاد من هذه الترجمات العديد من المفكرين والفلاسفة أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ووصل الحد إلى إنشاء بيت الحكمة الذي كان له الدور الكبير في ترجمة كتب في علم الفلك والكيمياء والطب إلى أن وصلت بغداد في القرن الثالث هجري إلى اكبر المركز الترجمية وقد سجل هذا العصر الذهبي لمدرسة بغداد الترجمية بتفاعل الثقافات العربية، والهيلينية، والفارسية [15] ولعل من الأسباب التي جعلت الترجمة تنال أهميتها

ومكانتها في هذه الحقبة هو إدراك العباسيين في إتاحتهما للإنتاج المعرفي والفني (نصوص علمية وأدبية) لمن لا يستطيع القراءة في لغته الأصلية،فأيا كانت اللغة المكتوب بها النص الأصلي يضل دائما عند قراءته في لغته الأصلية أقل من عدد القراء المتاحين على نطاق واسع [16] فوجد العباسيون في الترجمة إعفاء لهم من قراءة النصوص بلغتها الأصلية كما أن الترجمة في ميادين الأنشطة الإنسانية كانت عاملا قويا من عوامل الرقي والتطور[17].

أما في أوروبا فقد كانت حركة الترجمة رهينة اللغة اللاتينية التي أقعدت الكثيرين عن الترجمة لغلبة هذه اللغة وسيطرتها على المجالات الفنية والفكرية،لذا وبشيء من التأخير بدأت الترجمة في أوروبا تزدهر في مطلع القرن الثالث عشر ماعدا النصوص الترجمية السابقة التي كانت غاياتها دينية، لذلك كانت النصوص الدينية تشكّل الأثر المرجعي لهذه الترجمات خاصة في انجلترا وألمانيا[18] وبذلك كان يجب الانتظار حتى ظهور بوادر العصر الكلاسيكي (نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن الثامن عشر) الذي يسمى العصر الذهبي للترجمة حيث عكف المترجمون على نقل الأشعار القديمة من اللاتينية واليونانية.وعلى هذا الأثر سار الرومانسيون الأوائل على خطى سابقيهم في نقل التراث الفكري والفلسفي والأدبي بطريقة ثقافية واسعة كل هذا انطلاقا من إيمان الرومانسيين وعنايتهم باللغات والثقافات الإنسانية.

ولقد تطورت الترجمة في العصر الحديث بواسطة التقدم العلمي والاقتصادي، وهي مقتضيات دفعت الفعل الترجمي في أن يتداخل مع عديد الاختصاصات والعلوم ،ينهل منها وتنهل منه [19].مما جعل الترجمة كممارسة إنسانية تنتقل من الفن إلى العلم مما حذا بمؤسسة اليونيسكو أن تضع برنامجا عقب الحرب العالمية الثانية قصد تشجيع الترجمة لتعزيز التبادلات الثقافية والتواصل الإنساني.

2) **الترجمة ورحلة الآداب:** معروف أن دور الترجمة في التلاقح الثقافي بين الأمم المختلفة هو في الذروة من الأهمية، ومن ثم كان الاهتمام الشديد من قِبل الدارس في مجال الأدب بهذه الوسيلة التي تصل ما بين الأمم ثقافيًّا،ويمكن التدليل على هذه النظرة من خلال أراء الكاتب والشاعر الألماني **يوهان فولفغانغ غوته**،الذي يعتبر من بين أكثر مفكري عصره إيمانا بالدور الحيوي للترجمة،انطلاقا من فكره التواصلي ورؤيته الإنسانية، حيث ساهم بكتاباته المتنوعة وترجماته في تأصيل هذا النوع من العلاقة بين

الآداب، فكل ما له قيمة إبداعية ينتمي إلى العالم أجمع ،وليس محصورا بقومية أو امة معينة. حتى إذا ما تم التفكير في أدب من الآداب القومية أو المحلية تم التفكير بالضرورة في المبادلات الأدبية مع آداب أخرى على أساس التكافؤ. بمفهومي التفاعل الذي يعنى المشاركة القائمة على التداخل، والكشف الذي يعني بحث الذات عن نفسها في مرآة الآخر كل ذلك داخل نوع من احترام الاختلافات.

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن مفهوميّ: "التفاعل" و "المشاركة" مثّلا المرتكز الذي تأسست عليهما رؤية **غوته** للترجمة بصفتها نشاطا إنسانيا، وجزءا من النسق الثقافي، وأهم عامل يغني علاقات الأمم ببعضها،ثم إن تفكير **غوته** في الترجمة، لا ينفصل عن تفكيره في قضية الأدب العالمي والذي كان حسب وجهة نظره يعني جماع الروائع الأدبية التي يتكون منها التراث البشري والنصوص المتميزة التي تجاوزت الأمة الواحدة لتصبح ملك لجميع الأمم وللإنسانية قاطبة. فقد حلم ***غوته*** بأن يصبح للإنسانية أدب واحد مشترك تمده روافد الأمم جميعها [20] لذالك فقد ورد مصطلح " الأدب العالمي " لأول مرة على لسانه:بقوله " أنا مقتنع بأن أدباً عالمياً أخذ يتشكل ، وأن جميع الأمم تميل إلى هذا ... إننا ندخل الآن عصر الأدب العالمي وعلينا جميعاً الإسهام في تسريع ظهور هذا العصر"[21]. وقد عاد غوتة أكثر من مرة إلى تناول هذه المسألة التي حوت فكرة الأدب العالمي خاصة في منظوره للشعر الذي يرتقى في رأيه إلى مستوى الإنسانية في موضوعاته وفنه، ولا يتخلى عن بعده القومي أو الوطني أو المحلي، ويحلم غوته بأن آداب الأمم سوف تلتقي ذات يوم في هذا الأدب العالمي، ولكن من غير أن تتخلى عن خصائصها المحلية ، فهو لقاء إنساني.

داخل هذا السياق، وإيمانا من **غوته** بالدور الترجمي في التواصل و التلاقح الثقافي بين الأمم والشعوب، فقد حدد **غوته** ثلاث أنواع من الترجمة.فالنوع الأول يعرفنا بالأجنبي بما يوافق إحاسسنا الخاص،حيث يعتبر *غوته* أن أفضل مثال لذالك هو الترجمة النثرية الخالصة.أما نوع الثاني فهي الترجمة التي تضعنا في ظروف النص الأجنبي وأحواله والتعبير عنه بعد ذالك تعبيرا بلائم الحس القومي،أما النوع الثالث فهو ذلك الذي يسعى للتوحد بالأصل حد التطابق أو التكافؤ معه[22].ويتضح من هذا أن **غوته** كان ينشد من فعل الترجمة هو أن تحقق التطابق مع الأصل إلى حد التوحد معه، وعليه يقترح على المترجم أن يقترب في عمله إلى ما يستعصى على الترجمة. والمنطقة

المستعصية على المترجم مفادها أن لا يدخل المترجم في عملية مبارزة مع اللغة الأجنبية، لأن في هذه اللغة صورا وصيغا وتعبيرات تتعثر اللغة المستقبلة في أدائها، وتعجز في الوفاء بجوانبها الصوتية والشكلية والجمالية[23].ويضيف ***غوته*** أنه على المترجم إذن أن يحترم هذا الذي يتعذر عليه ترجمته، فيبتعد عن المعاظلة معه وإرغامه على الدخول في قوالب مقحمة عليه[24].وبذلك فان دور المترجم يكمن في حسّه من الاقتراب من نص وإشعارنا بأنه ينتمي إلى عبقرية خاصة بلغة المصدر، وعالم مشاعرها، وأنماط التفكير فيها، وقيمها التي تنفرد بها عن بقية اللغات[25].فـ***غوته*** من خلال هذه الآراء يركز على دور المترجم وطريقته في التغلغل في روح النص وروح صاحبه، وهي عملية تمكن من تقريب النصوص ثقافيا إلى بعضها داخل بيئاتها المختلفة،خاصة أن الترجمة مكنت من اجتياز فضاءات أجنبية، متعالقة بين فكرين أحدهما منتج وآخر مستقبل، بحيث تصبح الترجمة فضاء و منطقة تبادلات دائمة، تنتقل مع أدواتها وسائط الالتقاء بين الثقافات عبر عمليات نقل نص من ثقافة إلى أخرى، ومن منظومة أدبية معينة إلى منظومة أخرى، فالنص المترجم يحتفظ دوما ببعض السمات الأصلية، وإذا حاول أن يذوب في الثقافة المستقبلة فانه يكون دائما قطعة دخيلة ضمن المنظومة التي تستقبله، ويعمل المترجم في هذه الحالة على التقريب بين نظامين ثقافيين متباعدين، ليصبح المترجم في هذه الحالة عبر نشاطه الترجمي وسيطا لغويا وثقافيا[26].

لا يمكن بحال من الأحوال إغفال الدور الترجمي في حركة الآداب العالمية، باعتبارها المثال الذي يعكس التحول في النظرة إلى الآداب والثقافات الأخرى.حيث تصبح عمليات الترجمة أداة فعالة في هذه الحركة وهو ما يعكس الشكل التفاعلي والثقافي لمخزون الأمم الأدبي والفكري ، وعلى هذا الأساس تذهب الناقدة **سوزان بانيت** في كتابها "الأدب المقارن مقدمة نقدية" إلى الاعتراف أن الحكاية الخرافية ظهرت على خلفية وسياق متعدد الثقافات[27] .بمعنى أن هذا الشكل الأدبي إنما توسع وانتشر قياسا على تفاعلاته بين الشعوب والأمم والثقافات، وما كان لهذا النوع الأدبي أن ينتشر ويتطور لولا فعل الترجمة والنقل الذي طاله، وساهم في تحوله بين الشعوب والأمم. لذالك فإن أبحاث النقاد ارتكزت على مراجعة التاريخ الأدبي لمتابعة التقدم الذي أحرزته دراسات الترجمة، وتعداد المجالات التي طالت تحليل النصوص ووسائل إنتاج هذه النصوص، عبر عمليات دراسة المفردات والأساليب، والتقاليد البلاغية لكل من نظام المنبع ونظام الهدف[28]

،وقد كان لهذه الدراسات عاملا مهما في دراسات الترجمة والذي يركز على أن فكرة الترجمة ليست كقوة تحوّل في الأدب ولكن وسيلة أولية في التعامل مع النص وتحريره، ومن هنا أصبحت الترجمة قوة مؤثرة من قوى التعبير في تطور الثقافة العالمية[29].وفي نفس السياق تذهب الناقدة الألمانية **أرموندة هيللر** في الاعتراف بأن حكايات ألف ليلة وليلة قد ساهمت في خلق الصور الرومانسية وحملت معها الشرق ونقلته إلى الغرب. ولا يوجد مؤلَفٌ شرقي أثر تأثيرا قويا في الأدب الأوروبي مثل تلك الحكايات، بحيث أصبح هذا الكتاب جزءا لا يتجزأ من الأدب العالمي[30].

إن الترجمة في أساسها ظاهرة تبادلات ثقافية ،وبهذا فان تاريخ الترجمات متكون أساسا من التاريخ الأدبي فهما متقاربان خاصة إذا أقررنا بالدور المحرض لبعض النصوص التي تدفع إلى انتقالها وتحولها نحو الثقافات الأخرى بدءا من الحقب القديمة إلى وقتنا الحاضر فملحمة جلجامش لم تبقى حبيسة المدونات البابلية، وأشعار هوميروس وملاحم الإغريق لم تختفي باندثار حضارتهم، إنما دفعت بجوهرها الإنساني إلى التحول عبر الزمان والمكان لحقب طويلة. لذالك فان ما يذهب إليه ***دانييل هنري باجو*** في اعترافه أنه من المستحيل تقريبا دراسة حقبة أدبية دون الأخذ في الحسبان الدور الذي قامت به الترجمات[31]. أي إن استعراض الموجات الكبيرة للترجمات قياسا على التطورات التاريخ الأدبي يساعد على تقديم الملاحظات حول آلية التبادلات الثقافية. ومما لا ريب فيه أن النجاحات التي حققتها الآداب وتحولاتها عبر التاريخ كانت بفضل اعتمادها على عمليات الترجمة و الاقتباس،ومنه استيعاب وتمثل هذا الاقتباس من أجل تحقيق أكبر قدر من التعبير الذاتي بمعونة الآداب الأخرى، فالنماذج الإبداعية التي تصب في شرايين منظومة الأدب العالمي تتجاوز الحدود الفاصلة بين الشعوب، وتصل إلى القراء في البلدان الأخرى الذين لم يسبق لهم قراءتها، فمعظم الأعمال الأدبية تصل إلى القراء عن طريق الترجمة، وتبدو العلاقة واضحة بين الاتصالات الأدبية وعمليات الترجمة، لدرجة أنه يمكننا القول أن كل تواصل هو بمثابة ترجمة.

3) **دور الترجمة في الفعل الثقافي والتواصل الإنساني:** إن التواصل الثقافي هو عملية تبادلية تتم بين طرفين أو أكثر، ويتم من خلالها انتقال الأنماط السائدة، والتقارب بين الأفكار ووحدة النموذج البشري. ولا يختلف اثنان على أهمية الترجمة وأثرها في نهضة الأمم وإحياء الحضارات. فلقد أصبحت المعرفة الإنسانية وثيقة الصلة

يبعضها نتيجة الدور المتزايد الذي تلعبه عمليات الترجمة، وذالك بإسهامها في توطين النصوص إلى اللغة المنقول إليها، بحيث يتم تلقيح الثقافات ببعضها. وتصبح مهمة المترجم هي توليد القرابة بين الذوات الإنسانية، وهو ما يمكن اعتباره أن للترجمة دورا أساسيا في عملية التغيير الثقافي(32).فعمليات التواصل إنما تتم عبر الوساطة الترجمية،أي عن طريق نقل الثقافات والمعارف إلى الآخر، والذي انعكس على مستوى الجماعات الإنسانية ذات الثقافات المتباينة والمتباعدة محليا وثقافيا في صورة التقارب والتواصل.

وهذا التحول المعرفي من بيئة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر لا يدع مجالاً للشك في أهمية الترجمة، حتى لو تمت عن طريق لغة وسيطة، بل يؤكد أن الترجمة لم تضمن بقاء اللغة فقط، بل بقاء معارف وحضارات كادت أن تمحى من ذاكرة الإنسانية.

إن عملية التواصل الثقافي، التي تشكل الترجمة عمودها الفقري، كفيلة بأن تلغي التبايناالشديدة فقد باتت الترجمة من أهم الرسائل المستغلة قديما وحديثا في خلق التلاقح الحضاري بين الأمم والشعوب من خلال منطق الأخذ والعطاء، نظرا لاعتبارها جسرا للتواصل بين الثقافات المختلفة وكذلك بين اللغات،فالترجمة إذن هي حياة اللغة والفكر ونموها وتكاثرها وتحولها، لذلك غالبا ما تقترن أغلب فترة ازدهار عصور الفكر بحركة الترجمة، ومنه فالترجمة شكلت ولقرون سلسلة من الحوارات الحضارية عبر آلية المثاقفة.

ومرحلة أساسية لعملية الاتصال المعرفي وما يتصل بذلك من جوانب علمية وفنية وأخلاقية،وعليه فان **أنطوان بيرمان** يرى أن "الفعل الأخلاقي في الترجمة يتمثل في عملية الاعتراف بالآخر كآخر"(33) ،فالترجمة بهذا لا معنى تنفي أي تمركز على الذات والانطواء داخل حصون ثقافية خاصة،بل إن الطبيعة الانفتاحية التي عكستها الترجمة في عملية تحول الآداب والثقافات تمثل عين مشاركتها في السياق الثقافي العالمي،ويرتكز الالتقاء بين الذات وآخرها على مدى استيعاب الآخر للثقافة المستقبلة.فالترجمة تقرب المسافة الموجودة بين الذات والأخر،وتذيب التباين الموجود بين اللغات والثقافات وهي الأداة التي يمكن بها اختبار هذه الذات ومدى مشاركتها في عمليات الالتقاء والتواصل الإنساني.

تمثل هذه العمليات صورة لدور الترجمة في تواصل الثقافات والشعوب لأنها ليست

نقلا من لغة إلى لغة بل هي في الجوهر نقل من ثقافة إلى ثقافة[34]،أي أن الترجمة لا تسهم في نقل المعلومات والمعاني والأفكار فحسب بل تسهم في إغناء اللغة والثقافة المترجم إليها وتزويدها بمصطلحات ومفاهيم وبنيات لغوية وصيغ أسلوبية جديدة تجعلها أكثر قدرة على استقبال فكر الأخر واستنباته في تربتها وهي بذالك تسهم في عمليات تخصيب الهوية الثقافية[35].

إن فعل الترجمة وقياسا على دوره الوظيفي في أشكال التبادلات الإنسانية يعكس توق إنساني شبه أزلي في البحث عن يوتوبيا تواصل كونيّ، تعكسه رمزية بابل الأولى في تواصلها وانسجامها الإنساني فقد كان التلازم بين فعلي البناء واللغة مثالا للتوحد اللغوي، ولكن بتنوّع الحضارات والتجارب،أصبحت الترجمة فضاء لبابل جديدة تقر بمبدأ الاختلاف اللساني ووجود الآخر كمعطى وجودي، ساعية نحو إيجاد منطقة للتداخلات والتواصل الثقافي الإنساني.

خاتمة:

تعتبر الترجمة عملية تبادلات ثقافية أكثر منها عمليات نقل لغوية،وعليه لا يمكن إغفال هذا الدور في الوساطة اللغوية بصيغها وأساليبها وجوانبها الشكلية من جهة ووساطتها الثقافية عبر فعل التقريب بين الذوات وآخرها أي بين نظامين ثقافتين متباعدين ومتعالقة بين نظامين فكريين أحدهما منتج وأحدهما مستقبل حيث يجتمعان في فضاء التفاعل المشترك. ثم إن أهمية التفاعل والتبادل بين الثقافات العالمية، تنهض فيه الترجمة بدور المحرك الأساسي حيث يؤدي من جهة إلى الانفتاح على آداب ومعارف الشعوب والأمم المختلفة في تعددها وتنوّعها، ومن جهة أخرى إلى تشكيل هويّته الثقافية الخاصة ووعي علاقته بالآخر المختلف.

هوامش البحث:

1- أمبرتو إيكو:**أن نقول الشيئ نفسه تقريبا** ؛ترجمة أحمد الصمعي؛ مراجعة نجم بوفاضل ؛مركز دراسات الوحدة العربية ؛ الطبعة الأولى؛ بيروت لبنان؛ 2012 الصفحة 13.

2- المرجع نفسه ؛الصفحة 22.

3- سالم العيس: **الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية** ؛منشورات إتحاد الكتاب العرب ؛د/ط ؛دمشق سوريا؛ 1999 الصفحة 06.

4- روبر.ت.سيل: **الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيق**؛ ترجمة محي الدين حميدي ؛مكتبة العبيكان؛ الطبعة الأولى 2001؛ الصفحة 42.

5- المرجع نفسه ؛الصفحة 43.

6- محمد عناني: **فن الترجمة** ؛الشركة المصرية العالمية للنشر؛ الطبعة الخامسة ؛القاهرة مصر؛2000 الصفحة 02.

7- المرجع نفسه ؛الصفحة 09.

8- عبد السلام بن عبد العالي: **في الترجمة** ؛منشورات شراع ؛ الطبعة الأولى؛ طنجة المغرب؛ 1998 الصفحة 13.

9- بول ريكور: **عن الترجمة** ؛ترجمة حسن خمري ؛الدار العربية للعلوم ناشرون؛ الطبعة الأولى؛ بيروت لبنان؛ 2008 الصفحة 18.

10- المرجع نفسه؛ الصفحة 19.

11- المرجع نفسه؛ الصفحة 20.

12- جونيل رضوان: **موسوعة الترجمة** ؛ترجمة محمد يحياتن؛ مخبر الممارسات اللغوية؛ جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر؛ 2010 الصفحة 07.

13- المرجع نفسه؛ الصفحة 08.

14- المرجع نفسه ؛الصفحة نفسها.

15- المرجع نفسه ؛الصفحة 12.

16- جلال حني سلامة: **الترجمة في العصر العباسي**؛ منشورات جامعة القدس نابلس التعليمية؛ د/ت؛ الصفحة 38.

17- المرجع نفسه ؛الصفحة نفسها.

18- جونيل رضوان: **موسوعة الترجمة**؛ ترجمة محمد يحياتن؛ الصفحة 19.

19- المرجع نفسه ؛الصفحة 22.

20- يوهان فولفغانغ غوته: **الديوان الشرقي للمؤلف الغربي**؛ ترجمة عبد الرحمان بدوي؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ القاهرة مصر؛ د/ت؛ الصفحة 08.

21- دانيال هنري باجو: **الأدب العام المقارن**؛ ترجمة غسان السيد؛ منشورات اتحاد الكتاب العرب؛ دمشق سوريا؛ د/ت الصفحة08.

22- يوهان فولفغانغ غوته: **النور والفراش رؤية غوته للأدبين العربي والفارسي**؛ ترجمة عبد الغفار مكاوي؛ منشورات الجمل؛ الطبعة الأولى؛ بغداد العراق؛ 2006 الصفحة 49.

23- المرجع نفسه؛ الصفحة 50.

24- المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها.

25- المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها.

26- دانيال هنري باجو: **الأدب العام المقارن**؛ ترجمة غسان السيد؛ الصفحة 61.

27- سوزان بانيت: **الأدب المقارن مقدمة نقدية**؛ ترجمة أميرة حسن نويرة؛ المشروع القومي للترجمة؛ القاهرة مصر؛ 1999 الصفحة 162.

28- المرجع نفسه؛ الصفحة 164.

29- المرجع نفسه؛ الصفحة 168.

30- ياسين فيدوح: **إشكالية الترجمة في الأدب المقارن**؛ دار صفحات للنشر والتوزيع؛ دمشق سوريا؛ 2009 الصفحة 239.

31- دانيال هنري باجو: **الأدب العام المقارن**؛ ترجمة غسان السيد؛ الصفحة 66.

32- ياسين فيدوح : **إشكالية الترجمة في الأدب المقارن**؛ الصفحة 148.

33- انطوان بيرمان: **الترجمة والحرف أو مقام البعد**؛ ترجمة عز الدين الخطابي؛ مراجعة جورج كتورة؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛ بيروت لبنان؛ 2010 الصفحة 102.

34- مجاب الإمام و محمد عبد العزيز: **الترجمة وإشكالات المثاقفة**؛ منتدى العلاقات العربية والدولية؛ الدوحة قطر؛ 2014. الصفحة 249.

35- المرجع نفسه؛ الصفحة 261.